# المد والجزر في السياسة البريطانية
# تجاه شبه الجزيرة العربية

## ٢ ـ بريطانيا بين عبد العزيز آل سعود والشريف حسين
## ١٩١٥ ـ ١٩٢٠

الدكتور جمال محمود حجر
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد
جامعة قطر

# المـد والجـزر في السياسة البريطانية
# تجـاه شـبه الجـزيـرة العربيـة
# ٢ ـ بريطانيا بين عبد العزيز آل سعود والشريف حسين
# ١٩١٥ ـ ١٩٢٠

الدكتـور جمـال محمود حجر

وردت فكرة إسناد الزعامة إلى الأمير عبد العزيز آل سعود لقيادة الحركة العربية ضد الدولة العثمانية في تقارير شكسبير ، التي أعدها بعد لقائه بالأمير العربي في عام ١٩١١ . وتعتبر هذه الفكرة البداية الحقيقية للتغيرات اللاحقة في السياسة البريطانية تجاه شبه الجزيرة العربية من ناحية ، وتجاه الدولة العثمانية من الناحية الأخرى . وفيما يتعلق بشبه الجزيرة العربية ، فقد عرضنا في دراسة سابقة الإرهاصات الأولى لملامح هذا التغيير[*] ، وسوف نواصل فيما يلي متابعة حالات المد والجزر في السياسة البريطانية تجاه شبه الجزيرة في إطار الظروف العامة الجديدة ، التي أحاطت بمنطقة الشرق الأوسط ككل .

فيما يتعلق بالسياسة البريطانية تجاه الدولة العثمانية ، صاحبة النفوذ الشرعي في شبه الجزيرة العربية بعامة ، فقد كانت بريطانيا ترى ـ حتى عام ١٩١٤ ـ أن الدولة العثمانية لا تزال من القوة بحيث يصعب على حكومة لندن أن تتقبل مثل تلك الفكرة ، التي تسعى إلى انتزاع كل شبه الجزيرة العربية ، فضلاً عن سوريا والعراق ، من الدولة العثمانية ، وتأمير عبد العزيز آل سعود عليها[١] . وهكذا فشلت محاولة الكابتن شكسبير ولقيت إهمالاً واستنكاراً شديدين من صناع القرار البريطانيين . وبقيت العلاقات البريطانية ـ العثمانية على ما كانت عليه طوال القرن التاسع عشر .

ولكن اندلاع الحرب العالمية الأولى ، ودخول تركيا فيها إلى جانب ألمانيا ،

حفز كثيرين من صناع القرار البريطانيين إلى استدراك وجاهة الفكرة ، التي سبق أن طرحها شكسبير قبل أربع سنوات ، وفي ظل هذه التطورات الجديدة برز شكسبير ليجسد سياسة حكومة الهند البريطانية في شبه الجزيرة العربية ، كما برز الأمير عبد العزيز آل سعود في شبه الجزيرة العربية ليساهم في تنفيذ جانب من سياسة حكومة الهند البريطانية . ولكن هزيمته في جراب ، ومقتل شكسبير ، أضاعا على عبد العزيز فرصة قيادة الحركة العربية ، كما أضاعا على حكومة الهند فرصة التفوق على الإدارة البريطانية في القاهرة ، التي كانت تابعة لوزارة الخارجية البريطانية ، وكانت قد بدأت تعمل على اكتساب الشريف حسين لزعامة تلك الثورة .

وبينما هبط الأمير عبد العزيز آل سعود في نظر بريطانيا إلى مرتبة الشيوخ الضعاف ، وبقي معلقاً لبعض الوقت دون إسناد دور جديد إليه ، كان نجم الشريف حسين يتلألأ في نظر القاهرة ، فهو حامي حمى الحرمين الشريفين ، وينتسب إلى الأسرة الهاشمية للرسول محمد ﷺ ، وهذان الأمران وحدهما كافيان لتمكينه من أن « يحدث في العالم الإسلامي تأثيراً أخلاقياً بالغاً »[٢] .

وراح الساسة البريطانيون ـ انطلاقاً من ذلك الإعتقاد في قدرات الشريف حسين الإيجابية لخدمة السياسة البريطانية في العالم الإسلامي ، وفي مواجهة الدعوة إلى الجهاد ، التي أعلنتها الدولة العثمانية ، لإثارة المسلمين الخاضعين للحكم البريطاني ، خاصة في مصر والهند ـ راحوا يوطدون علاقتهم بالحسين ، واعدين إياه بتحرير الأراضي العربية الواقعة تحت الحكم العثماني ، وتأميره عليها ، وترشيحه ليكون خليفة عربياً للمسلمين[٣] . وكان سير بيرسي كوكس Cox قد فكر في ترشيح الأمير عبد العزيز آل سعود لشغل هذا المنصب ، ولكن عبد العزيز لم يرحب بالفكرة ، ورد عليها بأن الوهابيين «لا يعترفون بأي خليفة بعد الأربعة الراشدين»[٤] .

هكذا تركز التفكير حول ما يمكن أن يقوم به الشريف حسين ، وما يمكن أن يقدمه الحجاز للحرب . وقد رأت وزارة الخارجية البريطانية أن الحجاز يمكن أن يقوم بدور استراتيجي في خدمة الأهداف البريطانية ؛ فالحسين يستطيع ـ إذا دخل

في ترتيبات مع بريطانيا ـ أن يحمي الوجود البريطاني من الخطر ، الذي يمكن أن ينتج عن استخدام المانيا للساحل الشرقي للبحر الأحمر . ويستطيع كذلك أن يمنع الاتراك من استخدام سكة حديد الحجاز ، التي كانت ـ في الواقع ـ فرعاً من سكة حديد بغداد . فسكة حديد الحجاز إذا وقعت في أيد معادية لبريطانيا ، يمكن أن تسبب مشاكل للوجود البريطاني في عدن وشرقي إفريقية . وانطلاقا من هذه الاعتبارات الأخلاقية والاستراتيجية معا بدا الحسين وكأنه «الخيار الأفضل» .

انتقل مركز الثقل إذن من شرقي شبه الجزيرة العربية إلى غربيها ، ومن عبد العزيز آل سعود إلى الشريف حسين ، ومن دائرة نفوذ وزارة الهند وحكومة الهند البريطانية إلى دائرة نفوذ وزارة الخارجية البريطانية ، ومن سملا إلى القاهرة ، ومن سير برسي كوكس في الخليج إلى طاقم المكتب العربي في القاهرة[٥] . وفي ظل هذه الترتيبات الجديدة ، ليس من الضروري في هذه الدراسة تضمين أي وصف تفصيلي للحركة العربية ، ولكن من الضروري استكشاف بعض النقاط بغرض إيضاح أهداف السياسة البريطانية في شبه الجزيرة العربية ، وذلك لتفسير المسار الذي سلكته العلاقات البريطانية ـ السعودية ، وما لحق بها من مد وجزر في السياسة البريطانية تجاه شبه الجزيرة العربية .

وباندلاع الحرب ، بدأت ترتيبات الثورة العربية ضد تركيا تأخذ مجراها . ونشأت جمعيات سرية لتأمين حرية الولايات العربية واستقلالها ، والحيلولة دون العودة إلى التبعية العثمانية ، ومقاومة التدخل الأجنبي بكافة أنواعه وأشكاله[٦] . وهكذا حركت الحرب الآمال العربية ، ونشأت اتصالات عديدة بين قادة العرب وبريطانيا ، باستثناء إمام اليمن وابن الرشيد ، اللذين قررا الإبقاء على ولائهما للدولة العثمانية .

أما مباحثات الشريف حسين مع بريطانيا فقد كانت صعبة وطويلة ، فقد وقف في البداية مترددا بين وجهات النظر المتباينة ، فبينما آثر ابنه فيصل الوقوف إلى جانب تركيا ، فضل ابنه عبد الله مساندة بريطانيا ، ووقف القوميون السوريون مستعدين للتفاوض مع أي من الطرفين طبقا لشروطهم . فقد وضعوا شروطهم في شكل

بروتوكول ، وأنابوا الشريف حسين للتفاوض مع بريطانيا طبقاً لتلك الشروط ، التي تقضي بأن تعترف بالبلدان العربية الواقعة في إطار شبه الجزيرة العربية وسوريا الكبرى ، باستثناء عدن ، وأن تلغى الامتيازات الممنوحة للأجانب «وأن يقام تحالف دفاعي بين بريطانيا والدولة العربية المستقلة» . وفي مقابل ذلك كله كان القوميون السوريون على استعداد لمنح بريطانيا «أولوية اقتصادية»[٧] .

استعاد الشريف حسين مباحثاته مع القاهرة طبقاً للشروط العربية السابقة . وفي الفترة من يوليو ١٩١٥ إلى يناير ١٩١٦ تبادل مع سير هنري مكماهون H.McMahon ، المندوب السامي بالقاهرة ، ثمان رسائل ، عرفت باسم «مراسلات الحسين ـ مكماهون» . وفي هذه الرسائل حاول كل من الطرفين تحديد موقفه تجاه الآخر ، وتقرير الشروط التي سينضم ـ بناء عليها ـ الشريف حسين إلى الحلفاء في الحرب ضد العثمانيين وحلفائهم .

في الرسالة الأولى المؤرخة في ١٤ يوليو ١٩١٥ ، بحث الشريف حسين عن إمكانية كسب تأييد بريطانيا للدولة العربية المقترحة ، كما حددها بروتوكول دمشق[٨] . ورد مكماهون في ٣٠ أغسطس على ذلك في عبارات غامضة وغير حاسمة ، فذكر أن المفاوضات حول الحدود «تبدو سابقة لأوانها ومضيعة للوقت . . . » في ظل أوار الحرب الدائرة . وكان ذلك بداية دخول المفاوضات في متاهات دبلوماسية وتعديلات لفظية ، بقصد تمييع بريطانيا للمسألة برمتها . ولكن الحسين أصر في البداية على ضمان النص على تعيين حدود واضحة المعالم للدولة العربية المقترحة ، عندئذ استبعد مكماهون « أجزاء من سوريا تقع إلى الغرب من دمشق وحمص وحماة وحلب » . ومع أن الحسين رفض الدخول في جدل مع مكماهون في ٥ نوفمبر ١٩١٥ ، ثم حذر في مطلع عام ١٩١٦ من أنه لن يترك مطالبه في سورية بأكملها ، إلا أنه سرعان ما وقع في خطأ فادح ، حين وافق ـ بعد ذلك ـ على تأجيل مناقشة مسألة الحدود إلى ما بعد الانتهاء من الحرب[٩] .

لقد أخطأ الحسين خطأه القاتل حين دخل الحرب بغير شروط محددة . ولم يكن في وضع يحسد عليه ، فقد صار واضحا أنه لن يقف إلى جانب الاتراك . والآن

تأكد أنه واقف في صف الحلفاء ، وتحولت القضية العربية ـ في الواقع ـ إلى قضية سلامة شخص الحسين ، فهو لا يستطيع في هذه المرحلة أن يتراجع عن مساندة بريطانيا إلى التحالف مع العثمانيين ، وحين أعلن الثورة العربية ضد الاتراك في ١٠ يونيه ١٩١٦ ، لم يكن أحد من بين القوميين العرب يعرف ، على حد تعبير عزيز علي المصري «ما إذا كان الشريف حسين قد أعلن الثورة ليمنع احتلال قوة أجنبية للحجاز (بريطانيا) ، أو ليتحدى سلطة السلطان (العثماني) لتحقيق الاستقلال»[١٠] .

ومع أن الادارة البريطانية في القاهرة عينت عزيز علي المصري ليكون رئيسا لأركان قوات الحسين ، إلا أن عزيز كان محجما عن الخدمة في صفوفه ، وكان مرتابا في أمره . وحين أقنعه المسئولون البريطانيون بالعدول عن هذا الموقف الرافض ، لم تتبدد شكوكه تجاه الحسين ، حتى بعد أن التقى به شخصيا . فاستقال بعد أيام تاركا منصبه لجعفر العسكري ، وعلى ضوء هذه التطورات وصل إلى الحجاز رونالد ستورز R. Stores السكرتير الشرقي في القاهرة ، وبصحبته لورانس T. E. Lawrance لتنسيق الأدوار في الحرب ، وتحديد الدور الذي ستضطلع به بريطانيا في الثورة العربية مع الحسين . وبينما عاد ستورز إلى القاهرة بقي لورانس في الحجاز ليلعب دوراً غامضاً كضابط اتصال[١١]. وقد علق فيلبي على هذه التطورات ـ فيما بعد ـ بقوله «لقد أتيح للورانس وجيش الحجاز إنجاز ما كان يمكن لشكسبير وابن سعود أن ينجزاه في ظل ظروف أخرى»[١٢] .

وفي نهاية عام ١٩١٦ حق لسير جلبرت كلايتون Sir G. Clayton مدير المخابرات العسكرية في المكتب العربي بالقاهرة ، والذي أشرف على الخطة العسكرية للثورة ، أن يفاخر بأن : «ثورة الشريف (حسين) قد فتتت التضامن الإسلامي . . . وأكدت على فشل الجهاد (العثماني)» . ومن الناحية السياسية ، أكد كلايتون في نشوة الإحساس بالتفوق والنصر ـ أن الثورة العربية «تسير على سياستنا في شبه الجزيرة العربية وتكملها ، وهي السياسة المتمثلة في عقد اتفاقيات مع حضرموت وعمان ومسقط والكويت وعسير وابن سعود . وقد أعطت الثورة

لبريطانيا العظمى السلطة على سائر شبه الجزيرة العربية ، من البحر الأحمر إلى الخليج الفارسي ، كرادع لأي نشاط أو تدخل معاديين»[١٣] .

* * *

وعلى الجانب الآخر من شبه الجزيرة العربية ، بقي دور عبد العزيز آل سعود في الحرب العالمية الأولى أقل دلالة مما كان متوقعا . ذلك أن قدراته الحربية في معظمها كانت قد امتصت في صراعات محلية ، ففي البداية كان صدامه مع قبائل العجمان ، ثم مع قبائل المرة . وقد ضاعف من عدم فعالية الدور الذي اضطلع به عبد العزيز أن حكومة الهند أهملته لبعض الوقت ، ولم توكل إليه أي دور إيجابي في الحرب بعد معركة جراب ، وفوق ذلك كله كان نقص المال والسلاح ذا آثار سلبية معوقة لامكانية القيام بأي نشاط محتمل . وقد شكلت هزيمة جراب خلفية عامة لم يكن من السهل محوها من ذاكرة عبد العزيز ، وكان عليه إذا فكر في الدخول في مغامرة جديدة ، أن يحسب حساباته جيدا ، كي لا يقع من جديد في مأساة عسكرية وسياسية ونفسية[١٤] .

وبينما كانت العوامل السابقة تحيط بعبد العزيز ، وتحجم نشاطه وطموحاته ، كانت بريطانيا تؤكد على سياستها في شبه الجزيرة العربية ، فالهند قد أهملته ، بينما سارت القاهرة مشواراً طويلاً مع غريمه الشريف حسين . وهذا الموقف جعل عبد العزيز يرتاب كثيرا في بريطانيا ، التي قد تساند الحسين في ادعاء السلطة على بعض أجزاء نجد ، أو تظهره بمظهر المتفوق على حكام آخرين في شبه الجزيرة العربية .

وتتضح مخاوف عبد العزيز حين طلب منه الشريف حسين أن ينضم إلى الثورة العربية بادىء الأمر . ويبدو أن ذلك كان بإيعاز من بريطانيا ، التي كان يعنيها ـ وقتئذ ـ نجاح العرب في طرد الاتراك من شبه الجزيرة العربية بأسرع ما يمكن . عندئذ أصر عبد العزيز على الحصول مسبقا على تعهد كتابي من الشريف حسين بأن «الشريف سيتوقف عن انتهاك حرمة أراضيه (عبد العزيز) والتدخل في شئون رعاياه » ولكن الحسين لم يحاول استرضاء عبد العزيز ، وأكثر من ذلك أنه أثار حنقه

الشديد . أما الحكومة البريطانية ، التي كانت تدرك حقيقة العداء القديم والغيرة بين الزعيمين العربيين ، فقد شعرت بأن من الضروري «أن يعملا معا بالتعاون معنا» لأجل القضية العربية والمصالح البريطانية[١٥] .

لم تنجح بريطانيا في دفع عبد العزيز والحسين إلى العمل معا ، وإن نجحت في أن تؤمن تعاونهما معها بشكل أو بآخر . ولكن البريطانيين أصيبوا بشيء من الإحباط ، حين أعلن الحسين نفسه «ملكا على البلاد العربية» ، لأن هذا الإعلان أدى إلى تعميق هوة الخلاف بين الحسين وعبد العزيز . وأدركت بريطانيا خطورة التضحية بأحد الحليفين المتنافسين ، ووجدت نفسها مضطرة لإعلان احتجاجها على إعلان «الحسين ملكا» ، ذلك أنها ـ فضلا عن حرصها على مشاعر القادة العرب الآخرين في شبه الجزيرة العربية ـ كانت كذلك حريصة على مراعاة مشاعر الفرنسيين وما يعنيهم من أمر سورية .

ومع أن بريطانيا سعت إلى مصالحة الحسين مراعاة لظروف الحرب ، واعترفت به «ملكا على الحجاز» وليس «ملكا على البلاد العربية» ، فإن ذلك ـ على كل حال ـ لم يرض الحسين تماما . ولكن هذه التطورات جميعها «جرحت كبرياء عبد العزيز آل سعود العربي في الصميم» ، وبالتالي زادت الفجوة بينهما اتساعا . وبادل الحسين شكوك عبد العزيز بشكوك مثلها ، ورأى في عبد العزيز قائدا للوهابيين الذين كانت طموحاتهم في الحجاز مصدر خطر دائم عليه[١٦] .

وفي محاولة من جانب كوكس للاستفادة من طاقات عبد العزيز وقدراته ، وتوجيهها بما يتناسب والمصالح البريطانية ، قرر أن يتحدث إليه مباشرة ، ليخرجه من الموقف العقيم الذي اتخذه بعد جراب . فقد وجد كوكس بعد مراسلة مع عبد العزيز أن عليه أن يحمي ذلك الأمير العربي ، الذي تقع بلاده في اطار مسئولية حكومة الهند ، ضد اعتداء محتمل من جانب ملك عربي ، تقع بلاده في اطار مسئولية القاهرة . ويوضح ذلك الموقف كيف أدت أحداث شبه الجزيرة العربية إلى دخول وزارة الهند في صدام على النفوذ مع وزارة الخارجية في شبه الجزيرة العربية . ففي ٨ ستمبر ١٩١٦ جادل كوكس حكومته في أن عليها أن تخبر

عبد العزيز ـ بالتحديد ـ «أن أي تفاهم في الحاضر أو في المستقبل بيننا وبين الشريف لن يضر بشروط البندين الأول والثاني من معاهدتنا معه (عبد العزيز) في ٢٦ ديسمبر ١٩١٥»[١٧] . وهما البندان المتعلقان باعتراف بريطانيا بعبد العزيز وبحمايته من أي عدوان «أجنبي» .

وفوق ذلك ، اقترح كوكس أن تعلن بريطانيا عن المعاهدة التي عقدتها في ديسمبر ١٩١٥ مع عبد العزيز ، وأن تضع بنودها أمام الحسين خاصة ليقف على حجم التزام بريطانيا نحو القادة العرب الآخرين . عندئذ طمأنت وزارتا الخارجية والهند نائب الملك في الهند Viceroy ، في ١٩ سبتمبر ١٩١٦ ، أنه بالرغم من أن فكرة «خلق دولة عربية» ، أو «اتحاد بين مجموعة من الولايات العربية» لم تمت ، فإن التضحية بعبد العزيز غير واردة أصلا طبقا لشروط المعاهدة معه .

وفي اشارة تفصيلية إلى بنود المعاهدة مع عبد العزيز ، سلمت وزارتا الخارجية والهند بضرورة الالتزام بالبند الأول الخاص بالاعتراف ، « لأنه لا يمكننا الاقرار بأن البند الثاني (الخاص بالحماية من عدوان أجنبي) كان ملزما لنا كما هو الحال ضد عرب آخرين »[١٨] . ويعني تفسير وزارتي الخارجية والهند للبند الثاني من المعاهدة أن بريطانيا لن تساعد عبد العزيز ولا يجب أن تساعده ضد الشريف حسين . وقد أكدتا على أن كلمة «أجنبي» تسرى فقط على «غير العرب» . وأصرتا كذلك ـ ولو مؤقتا ـ على حجب نص المعاهدة عن الشريف حسين[١٩] .

كان هناك اتفاق واضح بين الوزارات البريطانية المعنية على أن العداء بين الزعيمين العربيين المتنافسين مدمر للمصالح البريطانية وقت الحرب ، وأنه يجب أن يسوى في أقرب فرصة . وقد كان هذا في الواقع هو هدف مقترحات سير بيرسي كوكس .

ومهما يكن من أمر غموض الدبلوماسية البريطانية ، فقد استمرت الاتصالات بين كوكس وعبد العزيز ، وفيها حرص عبد العزيز على مناقشة كوكس في أسلوب التعاون المقترح بينه وبين بريطانيا . وحين التقيا في العقير ، في ١١ سبتمبر ،

شرح عبد العزيز موقفه بالتفصيل . وكان رد فعل كوكس ايجابيا ، فقد طمأن الأمير تماما بشأن القضايا التي أثارها ، والتي تتعلق بمستقبله السياسي ، وبامكانيات تأمين سلامته وسلامة بلاده .

وإذا كانت الخطوة السابقة تحسب نجاحا لدبلوماسية كوكس في تأمين الموقف العسكري البريطاني في الخليج ، فإن ذلك الموقف أصبح أكثر وضوحا حين زار الأمير عبد العزيز الكويت ، في ٢٠ نوفمبر ، ليعرف دوره مع الفريق المناصر لبريطانيا ، ففي الكويت «أقسم القادة الثلاثة (شيخ الكويت ، وشيخ المحمرة ، وعبد العزيز) على العمل معنا (بريطانيا) لتحقيق هدف مشترك» . هذه التأكيدات الشفوية من الزعماء الثلاثة ، حفزت كوكس إلى مقابلتها بتأكيدات شفوية مماثلة لعبد العزيز ، مؤداها أن «حقوقه مصونه تماما في ضوء العلاقات التي أقامتها الحكومة البريطانية مع الشريف (حسين)»[٢٠] .

وسط هذه الوعود المتبادلة ، التي تعكس جوا من الانسجام العام في علاقات بريطانيا بهؤلاء القادة الثلاثة ، أعد كوكس بمساعدة جرترود بل G. Bell حفل شرف ، منع فيه عبد العزيز وسام قائد فرسان امبراطورية الهند من المرتبة الرفيعة (K. C. I. E.) ثم دعى عبد العزيز لزيارة البصرة في ٢٦ نوفمبر . وهناك زار قاعدة بريطانية ، وأهدى سيف شرف ورسالة ترحيب من قائد الجيش . وكان المقابل لهذه الحفاوة أن يبعث عبد العزيز أحد أبنائه في بعثة صلح إلى الشريف حسين[٢١] .

اعتقد البريطانيون أن حفل الكويت ، وزيارة عبد العزيز للبصرة ، قد «وضعتا (بريطانيا) في موقف متميز» . وتزايدت حماسة كوكس والهند بعامة ، حول أهمية الدور الذي يمكن أن يلعبه عبد العزيز في الحرب ، خاصة وأنه وعد بتقديم أربعة آلاف رجل مسلحين لمحاربة آل الرشيد في حائل . وكان على بريطانيا أن تساهم في هذا الجهد العسكري بأن تقدم له ثلاثة آلاف بندقية ، فضلا عن ذخائرها . هذا إلى جانب منحة مالية قدرها خمسة آلاف جنيه استرليني ، لتغطية النفقات اللازمة لإعداد تلك القوات للدخول في المعركة .

واعتبر ويلسون ، نائب كوكس ، زيارة عبد العزيز هذه «حدثا بالغ الأهمية يمكن أن يكون فرصة مناسبة لتوجيه السياسة (الشرقية البريطانية) توجيها جديدا ، كأن يكون نشاطنا في شبه الجزيرة العربية منطلقا من البصرة بدلا من القاهرة»[٢٢] . هكذا استعادت الهند ثقتها في عبد العزيز بعد موقعة جراب ، وظهرت البصرة لتلعب دورا جديدا لأول مرة في توجيه السياسة البريطانية في شبه الجزيرة العربية . وبدأت مرحلة جديدة من المد في السياسة البريطانية هناك .

كان الاتفاق بين القاهرة والهند على منع الشريف حسين وعبد العزيز آل سعود من التنازع فيما بينهما بشغلهما في بعض جوانب النشاط العسكري للحرب العالمية الأولى ، يسير طبقا لسياسة ناجحة . بيد أن علاقات بريطانيا الطيبة أو التي بدت كذلك وقتئذ مع الشريف حسين ومع العرب بعامة ، وهي العلاقات التي أجهد البريطانيون أنفسهم في اقامتها ، سرعان ما تهددها قراران رئيسيان في السياسة البريطانية : الأول اتفاق سايكس بيكو في مايو عام ١٩١٦ ، والثاني تصريح بلفور في ٢ نوفمبر عام ١٩١٧[٢٣] . فقد أزعج كلا القرارين الشريف حسين والعرب حول حقيقة نوايا السياسة البريطانية في الشرق الأوسط .

كان العرب في وضع حرج ، فقد فات وقت تبديل المواقف ، وصار من المحتم عليهم أن يواصلوا السير في الخط الذي بدأوه وإن كرهوا ذلك . وأدركت القاهرة هذه الحقيقة ، ولذا ذهب مارك سايكس نفسه ليلتقي بالشريف حسين ويهدىء من روعه . وفي ٤ يناير من العام التالي (١٩١٨) ، ذهب الدكتور هوجارث Hogarth ليؤكد على موقف الشريف حسين ويطمئنه[٢٤] . لقد كان من غير المحتمل مصالحة الشريف حسين ، الذي تبددت أحلامه في اقامة دولة عربية كبرى ، ذلك أن جانبا من الأرض التي كان قد وعد ، قسمت بطريقة أخرى بين الانجليز والفرنسيين واليهود .

أثارت تجربة السياسة البريطانية في الشرق الأوسط الشكوك حول امكانية قيام دول عربية مستقلة ، أو دولة عربية متحدة ، في المنطقة الواقعة إلى الشرق من مصر . وبالتالي فلم تعد بريطانيا تشغل تفكيرها بشأن الوعود التي منحتها للشريف

حسين ، ولا هي على استعداد لمنح الاستقلال المباشر لأي من البلدان الطموحة إلى الاستقلال في المنطقة .

ولقد جسد سير جلبرت كلايتون تلك الأفكار البريطانية الجديدة حين كتب قبل هذا الموعد ، في ١٢ نوفمبر عام ١٩١٥ ، إلى ونجت يقول «يبدو أن الهند قلقة من وجود دولة عربية متحدة وقوية ، وهذه لا يمكن أن تظهر إلى الوجود إلا إذا كنا حمقى» . ثم أضاف كلايتون «لا بد أن يكون شغلنا الشاغل هو ألا نرى امكانية قيام مثل هذه الدولة ، وأن نتجنب مساعدة طرف على حساب الأطراف الأخرى»[٢٥] .

ان الاستراتيجية البريطانية التي أفصح عنها كلايتون بوضوح لا تشوبه شائبة ، كانت معنية ـ أساسا ـ بالدولة العربية التي وعدتها بريطانيا للشريف حسين ، ولكنها ـ بالرغم من ذلك ـ أثبتت أنها ليست استراتيجية مرحلية لخدمة هدف مؤقت ، وإنما كانت استراتيجية طويلة المدى ، لا تزال تمارس إلى اليوم عن طريق أطراف أخرى . لقد أثبتت بريطانيا أنها لم تكن في القرن التاسع عشر من الحماقة بحيث تقيم دولة عربية قوية ، عندما وقفت ضد محمد علي ، وجردته من انتصاراته ، وحاصرته بالقوة داخل مصر ، وذلك لنفس الأسباب التي أشار إليها كلايتون ، بعد مائة عام .

وبعد عدة شهور فقط من رسالة كلايتون إلى ونجت ، كتب ارثر هرتزل A. Hirtzel في فبراير ١٩١٦ : «قد تكون دولة عربية قوية أخطر على الدول المسيحية من دولة عثمانية قوية ، كما أن سياسة لورد كتشنر Kitchener الهادفة إلى القضاء على دولة إسلامية لمجرد اقامة دولة أخرى ، تبدو لي دائما على أنها سياسة مدمرة»[٢٦] .

الواقع أن أفكار هرتزل تتوافق مع أفكار كلايتون ، وإذا كان الأول قد أشار إلى «دولة إسلامية قوية» ، بينما أشار الثاني إلى «دولة عربية قوية» ، فإن المعنى الأول لا يختلف في أي من تفاصيله عن الآخر ، لأن الدولة العربية المعنية في هذه المنطقة بالذات هي بالضرورة دولة إسلامية ، والعكس كذلك صحيح . ولكن هرتزل يبدو متطرفا للغاية حين يشير إلى سياسة كتشنر ، التي تقضي بتدمير الدولة

العثمانية الإسلامية ، لتقيم ـ طبقا لوعوده إلى الشريف حسين ـ دولة عربية إسلامية ، ويصف تلك السياسة بأنها مدمرة للمصالح البريطانية في الشرق .

ان هذه الأفكار التي صرح بها مسئولون بريطانيون من بين صناع القرار في السياسة الخارجية البريطانية في الشرق الأوسط ، تقدم لنا مؤشرا سلبيا تجاه نتائج السياسة التي سيتبعها عبد العزيز آل سعود في توحيد شبه الجزيرة ، واقامة «دولة عربية قوية» ، على جانب من المساحة التي كان من المفروض أن يقيم الشريف حسين عليها دولته العربية الكبرى .

على كل حال ، لم يكن قد مضى كثير من الوقت حين تكشفت خفايا السياسة البريطانية المتناقضة بين الشكل والمضمون ، متمثلة في اتفاق سايكس بيكو ، ووعد بلفور ، وتصريحات المسئولين البريطانيين في الشرق الأوسط حول احتمال قيام دولة «عربية» أو «إسلامية» قوية . ولا شك في أن هذه التطورات ساهمت إلى حد كبير في تشكيل سياسة عبد العزيز آل سعود في المنطقة .

* * *

كانت السياسة البريطانية في الشرق الأوسط ـ ان كانت هناك سياسة أصلا ـ مجالا لنقد كثير من النقاد المستقلين ، الذي وصفوها بأنها «غير واقعية» . فقد لاحظ مدير المخابرات البريطانية ـ على سبيل المثال ـ وهو يراقب عملية اتفاق سايكس ـ بيكو تناقضات صارخة حين قال : «يجب أن أعترف أن الأمر يبدو لي كأننا في موقف الصيادين الذي اقتسموا فروة الدب قبل أن يصيدوه»(٢٧) .

هكذا صارت السياسة البريطانية في الشرق الأوسط عرضة للنقد والتجريح من بعض العناصر البريطانية ، ومن العناصر العربية جميعها . فقد ازداد التوتر بين القاهرة والحسين ، وادرك العرب انهم قد خدعوا . ففي الوقت الذي كانت فيه بريطانيا تخاطب كل أصحاب المصالح في المنطقة ، وتمنح الوعود لمن تشاء ، تبين ان تلك السياسة لم تدرس دراسة جيدة قبل وضعها موضع التنفيذ . لقد غلب على هذه السياسة أسلوب وزارة الخارجية ، وهي بطبيعتها سياسة «تجريبية» .

وترتب على ذلك أن أعطت بريطانيا اهتماما رئيسيا للتنافس أو التحالف البريطاني ـ الفرنسي ، أكثر مما أعطت للنصوص المبهمة والوعود الغامضة المقدمة للعرب واليهود[٢٨] .

وهكذا تدهورت العلاقات العربية ـ البريطانية ، واجهض الوفاق العربي ـ البريطاني قبل أن يولد . وراحت بريطانيا من جديد تبحث عن زعيم أو قائد عربي يمكن الاعتماد عليه . وكان الطريق ممهدا أمامها لأن الهند كانت قد أعادت اقامة الجسور مع عبد العزيز بعد موقعه جراب ، عن طريق لقاءات ايجابية للطرفين ، تمت في العقير والكويت والبصرة ، وكان على القاهرة ، وهي تنفض يديها تماما من الحسين ، أن تتأكد من أن عبد العزيز لا يزال حريصا على صداقته مع بريطانيا .

وفي يونيو عام ١٩١٧ خططت القاهرة لبعثة ستورز إلى عبد العزيز ، لتناقش معه عدة أمور تتعلق بموقف الأمير من بريطانيا وحلفائها في شبه الجزيرة العربية ، وتتعلق ـ بنفس القدر ـ بموقفه من أعداء بريطانيا . ولم تكن الهند غائبة عن الساحة ، التي تمارس فيها القاهرة نشاطا لم يكن لها من قبل ، ذلك أن عبد العزيز هو الفارس الذي قامرت عليه الهند منذ البداية ، وهي لن تتركه الآن للقاهرة ، دون أن تشارك في صنع التطورات الجديدة ، ولو بالاشارة والتوجيه . لذلك كله لم يتردد كوكس في ارسال مذكرة من بغداد إلى القاهرة لتكون بمثابة توجيه لخطى ستورز . وكان الأمل معقودا على زيادة ستورز هذه ، ولكنه أصيب بضربة شمس قبل أن يلتقي بعبد العزيز ، وعاد أدراجه إلى القاهرة[٢٩] .

ظل المسئولون البريطانيون في بغداد على اعتقادهم بأن على عبد العزيز أن يتخذ موقفا أكثر فعالية ، ونصحوا القاهرة بعدم التخلي عن محاولات الصلح . ودفع هذا الاتجاه بعض المسئولين إلى الاعتقاد بأن عبد العزيز « ابن سعود صار القائد الديني والدنيوي لجميع القبائل العربية في وسط الجزيرة العربية ، عدا تلك التابعة لابن الرشيد أمير حائل . . و (قبائل) العجمان (القاطنة) على حدود ميزوبوتاميا»[٣٠] . وهكذا حددت بغداد عناصر القوة الرئيسية في شبه الجزيرة العربية ، وسعت إلى الاصلاح بين طرفيها الأساسيين عبد العزيز آل سعود

والشريف حسين . وعلى هذا الأساس كلف كوكس أحد ضباطه السياسيين في الخدمة المدنية الهندية ، وهو سان جون فيلبي ، ليقوم بزيارة كل من عبد العزيز والشريف حسين في خريف عام ١٩١٧[٣١] .

وفي الوقت الذي كان فيه فيلبي يجوب صحارى قلب شبه الجزيرة العربية متوجها إلى عبد العزيز ، كانت القاهرة قد أرسلت أحد موظفيها إلى جدة في مهمة مماثلة لمهمة فيلبي . كانت بعثة فيلبي تهدف إلى ترتيب دور أكثر فعالية لعبد العزيز ضد آل الرشيد ، أنصار العثمانيين في حائل . ذلك أن الترتيبات التي سبق أن أجراها كوكس مع عبد العزيز لم تقدم عونا كافيا للأخير يمكنه من أن يلعب دورا أكثر ايجابية لصالح السياسة البريطانية . على كل حال ، فإن هدف البعثة لا يختلف في شيء عن أهداف بعثتي شكسبير وكوكس السابقتين .

لم تكن مهمة فيلبي سهلة ، ذلك أن الاتصالات عبر شبه الجزيرة العربية كانت صعبة ، وأحيانا كانت مستحيلة ، فضلا عن أن الأمير عبد العزيز والشريف حسين كانا يفكران بطريقتين مختلفتين ، وأكثر من ذلك أن كلا من القاهرة وبغداد اختلفتا حول ما إذا كان من الضروري أن يستكمل فيلبي مهمته . هكذا واجه فيلبي قسوة البيئة ، وصعوبة الاتصالات ، كما واجه سياسات متنافرة على المستوى المحلي ، وسياسات أخرى غير ناجحة على المستوى البريطاني ، وفي ظل هذه الظروف حمل فيلبي المسئولية كاملة على عاتقه ، وتصرف على طريقته ، بعيدا عن تعليمات بغداد إليه .

وجد فيلبي ، في نهاية نوفمبر ، أن عبد العزيز يعاني من آثار موقف حرج ، نتيجة لنقص في المال والسلاح ، ونتيجة لمعارضة شعبه من الأخوان ، لتعامله مع بريطانيا المسيحية ، ونتيجة لتحويطه بمنافسيه وأعدائه (شيخ الكويت ، والعجمان ، وآل الرشيد والشريف حسين) ولكي يمارس نشاطاً عسكرياً ضد آل الرشيد في حائل ـ أنصار الاتراك ـ فإنه كان يحتاج إلى خمسين ألف جنيه استرليني في الشهر ، أي ما يعادل ١٠٠٠٪ من قيمة المنحة التي كان يتقاضاها من بريطانيا وقتئذ . هذا فضلا عن مبلغ نقدي مبدئي يعطى له وقدره ٢٠ ألف جنيه

استرليني . وعدا هذه المبالغ يحتاج عبد العزيز إلى أسلحة وذخيرة كافية لتحقيق النصر .

صاغ فيلبي تقديراته السابقة لاحتياجات الأمير عبد العزيز ، وبعث بها إلى كوكس ، مبينا أن حملة عبد العزيز ضد حائل تستوجب التنفيذ الفوري ، وأن «شيئاً عظيما يمكن تحقيقه (من ورائها)»[٣٢] .

وبعد أن وقف فيلبي على أوضاع عبد العزيز ، رحل في التاسع من نوفمبر ١٩١٧ إلى الطائف في الحجاز . ليلتقي بزميله القادم من القاهرة (ستورز) ولكنه لم يجد أثرا له هناك كما كان مقررا . فآثر مواصلة الرحلة إلى جدة ، التي وصلها ليلة عيد الميلاد (٣١ ديسمبر ١٩١٧) . وهناك في جدة ، وفي مركز الوكالة البريطانية ، وبعد عناء شهرين من السفر المتصل عبر الصحراء ، استمتع فيلبي أخيرا بقدر من الراحة والهدوء ، ونعم بشيء من أسباب المدنية ، ووقف على آخر أخبار الحرب الكبرى ، فقد صار في امكانه أن يطلع على الصحف وأن يخاطب أصدقاءه ورؤساءه . وكان من بين ما وقف عليه فيلبي ، أن ستورز قد شغل منصبا جديدا هو : «حاكم عام القدس» وأن هوجارث في طريقه إلى جده حول ذلك الوقت .

لم يتقرر في القاهرة أن يذهب هوجارث إلى الحجاز لمجرد الوقوف على ما توصل إليه فيلبي مع الأمير عبد العزيز ، وأنما لمحاولة تهدئة الشريف حسين ، بعد الصدمة التي تلقاها من بريطانيا ، اثر الاعلان عن اتفاق سايكس بيكو ، وتصريح بلفور . وهذا يعني أن بريطانيا لم تهمل الدور الذي تلعبه القاهرة مع الحسين ، وانما سعت للمحافظة عليه ، إلى جانب الدور الرئيسي الذي يمكن ان يلعبه عبد العزيز آل سعود .

التقى فيلبي وهوجارث معا بالشريف حسين . وكان اجتماعهما عقيما ، لأن الشريف كان غاضبا ، ولأن ميول فيلبي الواضحة نحو عبد العزيز زادت من غضب الشريف حسين وسخطه على السياسة البريطانية ، التي رآها منحازة لغيره من العناصر المحلية والقوى الدولية .

أما فيلبي نفسه فقد ضاق هو الآخر بالسياسة البريطانية ، لأنه علم ـ عند لقائه بهوجارث ـ ان القاهرة لم تعد تؤيد بغداد في دعم موقف عبد العزيز ضد آل الرشيد . واعتبر ذلك انتكاسه لسياسة حكومته ، التي أضاعت فرصة نادرة لتحقيق المصالح البريطانية في الشرق الأوسط ، ذلك أن ميزان القوي في شبه الجزيرة العربية قد يتبدل لغير صالح حلفاء بريطانيا . ولكن القاهرة كانت تخشى ـ إن ناصرت عبد العزيز ـ أن ينتهي الأمر بتفوقه المطلق في شبه الجزيرة العربية ، وبالتالي فإن الجرى وراء هذا الهدف سيقود إلى الاخلال التام بميزان القوى في شبه الجزيرة العربية ، وهو أمر سيرهق السياسة البريطانية في متابعته وتحجيمه . وحين سئم فيلبي هذه المواقف المتردية ، قرر العودة من حيث أتى ، ولكن الشريف حسين منعه من عبور الحدود إلى نجد ، فتوجه إلى مصر[٣٢] .

عاد فيلبي من القاهرة إلى الرياض حيث التقى بعبد العزيز ثانية ، ووضع أمامه صورة لما جرى في الحجاز مع الشريف ، وأخرى لما جرى في القاهرة مع المسئولين هناك . وخفف عنه تلك الانطباعات غير المريحة ، حين شرح له أن رحلته إلى القاهرة مكنته من مناقشة حقيقة موقف الأمير عبد العزيز في قلب شبه الجزيرة العربية . وجد عبد العزيز شيئا من العزاء في موقف فيلبي ، عوضه عن التردي الملحوظ في السياسة البريطانية ، وكان هذا مقدمة ساهمت في اقتناع عبد العزيز ـ في أبريل ـ بأهمية الهجوم على حائل ، وعدم التراجع عن هذه الخطة .

لم يكن في امكان فيلبي أن يطيل بعثته أكثر من ذلك ، فقد قضى فيها قرابة العام . وفي نفس الوقت كان يتوق إلى تحقيق انجازات تتعلق بطموحاته الشخصية ، وقبل أن يغادر الرياض قدم لعبد العزيز قرضا قيمته عشرين ألف جنيه استرليني ، بشرط أن يبدأ عبد العزيز عملياته العسكرية ضد آل الرشيد مباشرة ، ووعد الأمير بأنه سيجعل الحكومة البريطانية تعترف بوضعه الجديد . ولسوء حظ كل من عبد العزيز وفيلبي ، تيقن الأخير أن الفكرة الأصلية من وراء بعثته ، لم تعد تلقى وقتئذ إلا تأييداً باهتاً ، في كل من القاهرة والهند[٣٤] .

لقد صار لدى عبد العزيز من الأسباب الوجيهة ما يجعله يرتاب في السياسة البريطانية ، تماما كما فعل الشريف حسين . ويتضح ذلك من خطاب بعثه عبد العزيز إلى فيلبي في ٢٥ يوليو ، يقول فيه «أن الحكومة البريطانية قد صارت حكومتين : تلك الموجودة في مصر والتي تتبع كلام الشريف حسين سواء أكان صحيحا أم خاطئا ، وتلك الموجودة في العراق والتي تستقبل أعدائي (بأذرع مفتوحة) وتمنعني من عقابهم (العجمان وآل الرشيد)»[٣٥] .

كان عبد العزيز حريصا على ألا يلزم نفسه بأي التزام نحو الحكومة البريطانية ، ويتضح ذلك حين سأل فيلبي في الرسالة السابقة أن يحدد له موقف الحكومة البريطانية تجاه أمور بعينها هي :

١ ـ ما إذا كانت القاهرة تستطيع أن تمنع الشريف من أي عمل عدائي ضده .
٢ ـ ما إذا كان بامكان الحكومة البريطانية ان تمنع قبائل العجمان وشمر المتجولة من عبور أراضيه .
٣ ـ ما إذا كان في وسع بغداد ان تساعد على حل مشاكله مع شيخ الكويت بشأن مسألة الحصار البحري .
٤ ـ ما إذا كانت الحكومة البريطانية مستعدة لأن تدفع له جميع نفقات العمليات العسكرية التي سيقوم بها للهجوم على حائل .

عاد فيلبي إلى بغداد في أغسطس عام ١٩١٨ ، والتقى بكوكس ، وكرر معه النقاش حول حائل ، وأهمية استيلاء عبد العزيز عليها ، على أن يستولى الشريف على المدينة . وعندئذ يمكن أن يقسم قلب شبه الجزيرة العربية إلى قسمين بين الحاكمين اللذين سيظلان معتمدين على بريطانيا .

وفيما يتعلق بالحدود المقترحة في قلب شبه الجزيرة العربية ، رأى فيليبي أن تكون خورمة لعبد العزيز ، في حين تكون منطقة عتيبة الواقعة خلف مكة من نصيب الشريف ، وعلى العكس من رؤ ية القاهرة ، رأى فيلبي أن وجود آل الرشيد في حائل سيكون عقبة في طريق السلام وتسويات ما بعد الحرب ، ولكنه على كل حال وجد نفسه الوحيد الذي يؤ يد هذه الخطة[٣٦] .

* * *

بدأ عبد العزيز نشاطا عسكريا محدودا ضد حائل في سبتمبر ١٩١٨ ، معتمدا في ذلك على الوعود التي منحها اياه فيلبي ، دون أن يتأكد من موافقة بغداد أو القاهرة على ذلك ، وقد كان حذرا في نشاطه ، خوفا من أن تلحق به هزيمة كالسابقة في جراب . ولكنه ما لبث أن عاد بجيشه دون أن يحقق نصرا ، أو يستولى على عاصمة آل الرشيد ، ذلك أنه تلقى أنباء مفادها أن قوات الشريف حسين شنت هجوما على حدوده الغربية .

ولقد كانت الأخطار تهدد طموحات عبد العزيز من جهتي الشمال والغرب . وكان عليه أن يعطي الأولوية لأحدى الجبهتين ، فآثر التصدي أولا للخطر القادم من الغرب ، لأجهاض طموحات الحسين . وانتقل بذلك مسرح الحرب من شمالي شبه الجزيرة إلى غربيها ، وكان هذا يخرج عن إطار مهمة فيلبي .

في الواقع ، لم يكن عبد العزيز معنيا بمهمة فيلبي بقدر ما كان معنيا بمصالحه الخاصة، بصرف النظر عن المصالح البريطانية . وقد تصادف هذا التطور مع حرص بريطانيا على العودة إلى سياستها السابقة على الحرب العالمية الأولى ، وهي سياسة الجزر وتفادي الدخول في شئون قلب الجزيرة العربية لانتهاء الحرب في الميدان الأوروبي وانتصار الحلفاء ، وعدم الحاجة إلى أي جهد عسكري ألى جانبها من عبد العزيز آل سعود . لقد باءت بعثة فيلبي بالفشل ، فلم يستولى عبد العزيز على حائل ، ولم تتم مصالحته والشريف حسين ، وكان هذان الأمران هما هدفي البعثة .

ولقد انتهت الحرب العالمية الأولى ، وحقق الحفاء أهدافهم ، أما فيلبي فقد لخص موقفه في تحسر شديد على جهوده الضائعة في جملة واحدة ، حين قال : «لقد انقضى عام من العمل (عبثا) أمام عيني»[٣٧] . ولكن عبد العزيز كان لا يزال يبحث عن أسباب تحقيق أهدافه فالحرب العالمية الأولى لم تكن تعنيه ، بل كانت نهايتها بداية حقيقة لحروبه المحلية . وجاء الجزر في السياسة البريطانية ليساعده على تحقيق أهدافه الاقليمية .

هكذا لم تعد حائل ، وانما صارت القريتان الصغيرتان (خورمة وتربة) في بؤرة اهتمام عبد العزيز . فالنجديون لم يتوقفوا مطلقا عن المطالبة بهاتين القريتين ، لأنهما يقعان إلى الشرق من جبل حضن ، ويعتبر الجبل فاصلا جغرافيا بين نجد والحجاز في هذا الموقع[٣٨] . وأثناء غياب السيادة السعودية عن نجد ، حكم الحجاز هاتين القريتين . وقد أثبت الاخوان ـ جند عبد العزيز ـ أنهم قادرون على كسب تأييد سكان خورمة ، حين تحول خالد بن لؤي ، الذي كان الحسين قد عينه حاكما على خورمة ، إلى عبد العزيز آل سعود .

أثار التطور السابق قلق الشريف حسين ، وسعى إلى كسب تأييد بريطانيا له في تأمين حدوده الشرقية[٣٩] . ونظرا لأن هذا النزاع كان ذا طبيعة عقائدية فقد آثرت بريطانيا أن تتبنى سياسة الحياد بين حليفيها المتنافسين ، ولكن مثل هذا الموقف لم يخل من مخاطر احاطت بالمصالح البريطانية . فالبريطانيون لم ينسوا تماما ذلك الذعر الذي أصاب العالم الإسلامي في القرن التاسع عشر ، حين استولى الوهابيون على الأماكن المقدسة[٤٠] . ولهذا لم تستطع بريطانيا ان تستسلم لسياسة الحياد السلبي بين حليفيها وسعت إلى حث الزعيمين كليهما على الصلح[٤١] .

لم يستجب الشريف حسين لنداء الصلح ، وأصر على الحرب . أما عبد العزيز فقد نبه بريطانيا إلى أنه لن يستطيع أن يحافظ على استمرار العلاقات الطيبة مع الحسين[٤٢] وناشدها ان تتفهم موقفه الصعب بين منافسيه[٤٣] وأن تتركه يدافع عن نفسه ، أو أن تضمن له عدم اعتداء أي من منافسيه على أراضيه . وعرض عليها أن تقوم بالتحكيم بينه وبين الحسين . وسار إلى أبعد من ذلك حين قبل اقتراحا بريطانيا بأن يكتب رسالة ودية إلى الشريف حسين ، الذي لم يكن في ظروف تؤهله لقبول الصلح[٤٤] .

كانت السياسة البريطانية ـ في الواقع ـ سياسة غير مستقرة ، مذبذبة بين المد والجزر ؛ فقد توصل الدبلوماسيون البريطانيون في ربيع عام **١٩١٩** إلى قرار خطير فيما يتعلق بعبد العزيز آل سعود ، ذلك حين انتهوا إلى «أن سياستنا (بريطانيا) هي سياسة الحسين» . فقد كانت بريطانيا لا تزال في حاجة إلى تأييد الحسين في

تسويات السلام النهائية ، باعتباره شخصية ذات تأثير بالغ الأهمية ، تفوق ما كان يتمتع به عبد العزيز من تأثير في العالم الإسلامي ، وخاصة في المناطق الخاضعة للنفوذ البريطاني بمختلف صوره . وطبقا لتلك السياسة الجديدة طالبت بريطانيا عبد العزيز أن يترك خورمة للحسين وإلا قطعت عنه المعونة المالية[٤٥] .

كان فيلبي هو الوحيد بين الساسة البريطانية العاملين في منطقة الشرق الأوسط الذي عارض سياسة حكومته . وحين أعطى الفرصة للتعبير عن رأيه قال في صراحة : «ان ابن سعود لن يتجاهل الأمر الموجه إليه بترك خورمه فقط ، وانما سيدافع عنها حتى النهاية لو حاول الحسين أن يحتلها» . وذهب فيلبي إلى أبعد من ذلك حين تكلم بثقة عن عبد العزيز آل سعود ، وقال : «ان ابن سعود سينتصر»[٤٦] . لا شك في أن رأي فيلبي لقي شيئا من الاهتمام ، ولكنه لم يغير شيئا من السياسة التي ارتضتها بريطانيا لمناصرة الحسين .

أما الحسين فلم يكن قانعا بما قدمته له بريطانيا من دعم سياسي في هذا المجال ، وطالبها بالتأييد الكامل ، وهدد بالتنحي عن الحكم . وأثارت الضغوط الواقعة على الحكومة البريطانية من حليفيها المتنافسين الرغبة لدى بعض المهتمين بشئون شبه الجزيرة العربية في لندن ، وراحوا يراقبون تطور السياسة البريطانية في مواجهة تطور الأوضاع في المنطقة . وتقرر عقد اجتماع وزاري بين الجهات المعنية بشئون شبه الجزيرة ، انتهى إلى التأكيد على الالتزام بسياسة الحياد ، التي سبق أن أعلنتها الحكومة البريطانية تجاه النزاع بين نجد والحجاز ، وعدم التدخل في شئون قلب شبه الجزيرة العربية . ولكن هذا الحياد لم يكن في الواقع إلا ذرا للرماد في العيون ، لأن السياسة البريطانية كانت مترددة وغير ثابتة في موقفين : الأول حين بدت مناصرة للشريف من خلال التهديد بقطع المعونة المالية عن عبد العزيز ، (وكانت بريطانيا قد خفضت هذه المعونة بالفعل إلى ٥٠٪ في مرحلة سابقة) ، والثاني حين مارست موقفا سلبيا في النهاية ، تاركة قوات عبد العزيز تلتهم الحجاز[٤٧] .

احتدم النزاع بين عبد العزيز والحسين ، وصار من غير الممكن تجنب الصراع

المباشر بينهما . ذلك أنه حين حاول الأمير عبد الله بن الحسين استرداد تربة في مايو ١٩١٩ ، لحقت به خسائر فادحة ونجا من موت محقق . ولا شك في أن تغير ميزان القوى بهذه الصورة لصالح عبد العزيز أفزع ممثلي بريطانيا وفرنسا المجتمعين وقتئذ في مؤتمر السلام في باريس . لقد كان في امكان الاخوان النجديين ـ لو أراد لهم عبد العزيز ـ أن يتقدموا إلى الأراضي المقدسة ، أو حتى إلى سوريا ، لأن ضم كلتيهما إلى نجد كان أملاً كبيراً لعبد العزيز ورجاله .

كذلك أفزعت انتصارات عبد العزيز ضد الحسين سكان الحجاز ، خشية التقدم الوهابي إلى بلادهم ، وحذرت بريطانيا عبد العزيز ، أنه إذا لم ينسحب من خورمة فستقطع عنه ما بقي له من المعونة (٥٠٪) وسيفقد المزايا التي يتمتع بها بمقتضى معاهدة ١٩١٥ . وتحت هذا التهديد البريطاني ، وتريثا لاستكشاف النتائج ، آثر عبد العزيز ألا يتقدم بقواته في أراضي الحجاز ، لأن الظروف السياسية المحيطة به لم تكن تساعده على ممارسة نشاط عسكري جديد(٤٨) .

ولقد كشفت موقعة تربة عام ١٩١٩ عن ضعف في جانب الشريف حسين ، كما كشفت من قبل موقعه جراب في عام ١٩١٥ عن ضعف في جانب عبد العزيز آل سعود . وفي الحالتين كانت بريطانيا تقدر الطرف الأقوى بصرف النظر عن طبيعة القضية ، لأن الأقوى هو الأفضل في حال التحالف معه ، ولأنه الأخطر إذا أعلن العداء لها .

كانت رؤية فيلبي ثاقبة في تقدير حجم الدور الذي يمكن ان يؤديه عبد العزيز آل سعود ، تماما كما كانت رؤية شكسبير لهذا الدور . وكما سعت بريطانيا ابان الحرب العالمية الأولى إلى استقطاب عبد العزيز عن طريق جهود شكسبير الدبلوماسية ، فإنها بدأت الآن تفكر في تكليف فيلبي بنفس الدور الذي اضطلع به شكسبير ، وذلك حين اختارته ليكون قناة اتصال تؤمن مصالحها في شبه الجزيرة العربية ، بالتعاون مع عبد العزيز ، الذي وافق على أن يعمل طبقا لرغبات بريطانيا . فنراه يستجيب لنصائح بريطانيا ويؤجل زيارته إلى الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج إلى العام التالي ، حتى لا تبدو الزيارة وكأنها عمل استفزازي

للحسين في ظروف التوتر القائمة بينهما وقتئذ .

وجريا على سياسة التعاون الجديدة بين عبد العزيز وبريطانيا ، وجهت الحكومة البريطانية دعوة إلى الأمير فيصل بن عبد العزيز (الملك فيصل فيما بعد) لزيارة لندن . وتمت الزيارة في سبتمبر ١٩١٩ ، وكان فيلبي مرشد الأمير السعودي خلالها . وحرص مجلس الوزراء البريطاني على أن يستقبل الأمير لدى وصوله إلى لندن استقبالا رسميا من قبل وزير الدولة لشئون المستعمرات وغيره من المهتمين بشئون الشرق الأوسط(٤٩) .

كانت زيارة الأمير فيصل للندن زيارة عمل ، فضلا عن كونها زيارة مودة وصداقة . فقد حمل الأمير معه عددا من مطالب أبيه ، وتمت مناقشتها في اجتماع وزاري في ٢٤ نوفمبر . ويمكن تلخيص هذه المطالب في النقاط التالية :

١ ـ تحمي بريطانيا استقلال عبد العزيز آل سعود وبلاده .
٢ ـ تعترف بريطانيا بأن خورمة وتربة تقع في إطار املاكه .
٣ ـ يلغى الحظر المفروض على زيارة النجديين إلى الأراضي المقدسة للحج .
٤ ـ تدفع بريطانيا لعبد العزيز اعانة مالية لاصلاح ما خربته الحرب في أراضيه .
٥ ـ تعيين بريطانيا فيلبي ليكون وكيلا سياسيا دائما لها لدى عبد العزيز .

لم تكن بريطانيا ترغب في أكثر من مراقبة الأحداث في شبه الجزيرة العربية عن بعد ، ولذلك رأت في اقتراح كيرزون ، الذي يقضي باجراء لقاء بين الحليفين المتنافسين ، فرصة لاتباع احدى صور الحياد . وبناء على ذلك وجهت الحكومة البريطانية الدعوة إلى عبد العزيز لمقابلة الشريف حسين في الحجاز ، ولكن عبد العزيز أدرك أن مجرد الحضور إلى بلاط منافسة يجرح كرامته ، فرفض الدعوة . ولكنه شكا سراً إلى الكولونيل ديكسون ، في ٥ فبراير ، من أن تقاعس بريطانيا عن تأييده ، جعله وشعبه حانقين على السياسة البريطانية ، التي حرمته من ان يجني ثمار انتصاره على الحسين ، كما حرمته من أي أمل في أن يمد حدوده إلى سوريا ، التي كان ينظر إليها على أنها «آخر المحطات في رحلة نجد إلى الشمال» ، وهو يؤكد بذلك على عمق العلاقات بين قلب شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام .

وفي محاولة من جانب وزارة الهند لكسر الجمود الذي نتج عن رفض عبد العزيز للاقتراح البريطاني ، رأت وزارة الهند أن يتم اللقاء ، بين الحليفين المتنافسين ، على ظهر مركب حربية بريطانية ، على أساس اعتبارها منطقة محايدة . عندئذ بدأ الحسين يظهر مرونة نسبية ، حين سمح للاخوان بدخول الحجاز لأداء فريضة الحج . وكانت هذه خطوة ساعدت على ترتيب لقاء بين مندوبي عبد العزيز وممثلي الحسين . وحين جرى ذلك لم تتحقق أية تسوية نهائية ، ولكن تم توقيع هدنة حربية بين الطرفين(٥٠) .

تبلور هدف بريطانيا الأول ـ وقتئذ ـ في الابقاء على الوضع الراهن في شبه الجزيرة العربية . فقد كانت الدبلوماسية البريطانية لا تزال تسعى لكسب تأييد الشريف حسين ، وتعطيه أولوية مطلقة لأهمية دورة في التسوية العامة للسلام في الشرق الأوسط ، وبخاصة فيما يتعلق بالانتداب البريطاني المقترح على فلسطين والعراق .

غير أن الدبلوماسية البريطانية لم تسلم من النقد الذاتي ، أي نقد البريطانيين لأنفسهم ، وعلى سبيل المثال في هذا المقام ، فقد كتبت جرترود بل إلى لورانس في يونيه عام ١٩٣٠ ، تقول : «لا يمكنك حماية الحجاز عن طريق دعم الحسين والتخلي عن ابن سعود» . واقترحت عليه بدلا من تلك السياسة العرجاء أن يبقى على علاقات الود مع عبد العزيز آل سعود «الذي يظهر ـ بكل تأكيد ـ استعدادا لتقبل نصائحنا ، وهو أقوى الاثنين»(٥١) . ومع ذلك تحذر جرترود بل البريطانيين من أن مواقف عبد العزيز ، الذي كان يعمل في معظم الأحوال طبقا لرغبات بريطانيا ، ستكون ـ في المستقبل ـ رهنا بطبيعة السياسة البريطانية تجاهه ، وهي تشك في أن تنجح السياسة البريطانية القائمة وقتئذ في الابقاء على ولاء عبد العزيز لبريطانيا .

وبينما أخذ نجم عبد العزيز آل سعود يسطع في اعقاب الحرب العالمية الأولى ، بدأ الحسين يواجه حقيقة موقفه المرة . وبالرغم من التصريح البريطاني ـ الفرنسي لعام ١٩١٨ الذي يحدد هدف حكومتي الدولتين بأنهما تسعيان «لاقامة حكومات وادارات وطنية تستمد سلطاتها من الاختيار الاصيل والحر للشعوب المحلية»(٥٢) ،

إلا أن السياسة العملية للحكومتين البريطانية والفرنسية قد ألحقت الأذى بقضية الاستقلال العربية . فقد التقى الحلفاء في فرساي ليقرروا مستقبل الأراضي العربية ، ولكنهم لم يصلوا إلى اتفاق حول الموضوع وعاد الأمير فيصل بن الحسين يحمل لأبيه لطمة جديدة .

وفي ٣٠ مارس ١٩٢٠ انتخب فيصل ملكا على سوريا وفلسطين ، ولكن الحكومة الفرنسية رفضت إقرار هذه الخطوة ، ولم تشأ الحكومة البريطانية أن تخسر فرنسا في سبيل ارضاء فيصل . وبعد ذلك بشهر واحد فقط ، وفي ٢٤ ابريل ، قرر مؤتمر سان ريمو مصير الأراضي العربية التي كانت خاضعة للدولة العثمانية فوضع شمالى سوريا تحت الانتداب الفرنسي ، اما جنوبيها (فلسطين وشرق الأردن) والعراق فقد وضعت جميعا تحت الانتداب البريطاني . وقد رفض فيصل ـ كما رفض القوميون العرب ـ هذه الترتيبات ، وقامت انتفاضة عربية ضد الفرنسيين ، الذين نجحوا في اخمادها في يوليو ، ووجد فيصل أن من الصعب عليه البقاء في دمشق ، نظرا للموقف الأوربي ، فغادرها إلى المنفى[٥٣] .

وجرى في العراق مثل ما جرى في سوريا . فقد قامت ثورة ضد الانتداب البريطاني ، كلفت بريطانيا الشيء الكثير ، إلى حد أن خسائرها في هذه الثورة وحدها تفوق إجمالي خسائرها في الثورة العربية . وطلبت الحكومة البريطانية من سير برسي كوكس أن يعود من فارس إلى العراق ليحل محل ويلسون في وظيفة الحاكم المدني للعراق ، وذلك اعتبارا من اكتوبر عام ١٩٢٠ . وفي هذه الظروف وضح كوكس ملامح سياسته الجديدة في العراق حين قال بوضوح وصراحة : «إن الاتجاه السياسي الجديد الذي جئت لتطبيقه يقضي بتحول كامل وسريع في واجهة الادارة القائمة (في العراق) من البريطانيين إلى العرب[٥٤] .

كانت مسألة تعيين ملك على العراق قد تركت للتسوية في مرحلة تالية ، ثم تبعها قرار بترشيح الأمير عبد الله بن الحسين لشغل هذا المنصب . ولكن التطورات التي ألمت بفيصل في سوريا على أيدي الفرنسيين ، جعلت بريطانيا تشعر بأنها مطالبة باسترضائه واشباع طموحاته في مكان آخر . وورد في حسابات صناع القرار

البريطانيين أن بالامكان تتويج فيصل ملكا على العراق ، الذي كان مقررا أصلا لعبد الله . وهذا يعني ـ إن جرى السعي لتنفيذه ـ ضرورة البحث عن مكان بديل للأخير .

وقف الشريف حسين يراقب بغضب لعبة القوى الكبرى ، معارضا مبادىء نظام الانتداب ، وتأكد له أن الهدف العربي في الاستقلال والوحدة قد أخذ يخبو تدريجيا . وأكثر من ذلك انه عبر عن استيائه من معاملة الحلفاء له في مؤتمر السلام كحليف قليل الشأن . وان لقب «ملك الجزيرة العربية» الذي خلعه على نفسه لم يلق تأييد أي من الدول الأوربية . وذهبت بريطانيا في اهمالها المتعمد له إلى درجة انها لم تحرك ساكنا حين وأدت فرنسا نظام حكم إبنه الأمير فيصل في سوريا ، بينما راحت تساند النمو الصهيوني في فلسطين وتدعمه . وتعقد الأمر كثيرا أمام الشريف حسين ، فإلى جانب شكواه من الفرنسيين والبريطانيين ، صار من الصعب عليه الاحتفاظ بهيبته في العالم الإسلامي ، باعتباره حاميا للحرمين الشريفين ، وأكثر من ذلك ان فشله في ردع التهديد السعودي قد ألصق به اهانة بالغة[٥٥] .

لم تكن السياسة البريطانية بغير مشاكل جسيمة في الشرق الأوسط . كانت هناك الثورات ضد نظام الانتداب ، وكانت هناك الحركة الوطنية في مصر لانهاء الحماية ، وبقيت مشاكل شبه الجزيرة العربية ـ على اتساعها ـ بغير حلول . كان هناك الشريف حسين ، وعبد العزيز آل سعود ، وآل الرشيد ، والادريس ، وامام اليمن ، كل هؤلاء كان «عليهم جميعا أن يصنعوا مستقبلهم بأنفسهم في شبه الجزيرة العربية ، ولكن بقي أن ينتظروا ما إذا كانت بريطانيا تستطيع فعلاً ان تؤثر ، أو ترغب في التأثير ، على مستقبل كل منهم»[٥٦] .

لقد كانت بريطانيا هي القوة العظمى الوحيدة ، صاحبة النفوذ في شبه جزيرة العرب ، فقد أبعدت فرنسا شمالا إلى سوريا ، وأنذرت إيطاليا أن تبتعد عن البحر الأحمر ، وأرغمت تركيا على إخلاء الجيوب المتبقية لها في اليمن والمدينة . وبدا المد البريطاني نحو شبه الجزيرة العربية كاسحاً لكل ما دونه .

وهكذا ، بينما نجحت بريطانيا في ابعاد القوى المناوئة عن شبه الجزيرة العربية ، لم تستطع تسوية الصراعات المحلية فيها . وتأكدت الحاجة لايجاد نظام مؤثر وفعال للتوفيق بين العناصر البريطانية المؤثرة في تشكيل السياسة في الشرق الأوسط ، وخلق جهاز جديد يتحمل مسئولية إدارة المنطقة . وكان ذلك بداية التفكير في اقامة مركز إدارة الشرق الأوسط التابع لوزارة المستعمرات في عام ١٩٢١[٥٧] .

لقد كانت السياسة البريطانية تجاه شبه الجزيرة العربية معنية أساسا بالمناطق الساحلية منها . ولم تهتم بريطانيا بما كان يجرى في داخل قلب شبه الجزيرة ، إلى أن أطل منه عبد العزيز آل سعود ، وفرض نفسه على الحضور البريطاني القائم على سواحل الخليج ، وبدأ ميزان القوى المحلية يهتز ، واهتزت معه الثوابت التي بنيت عليها السياسية البريطانية حتى ذلك الوقت . وأعيد النظر فيها بجد فرضته مجموعة أخرى من التغيرات الإقليمية والعالمية ، وقد شهدت فترة التغيرات فيما بين عامي ١٩١٠ و ١٩٢٠ موجات من المد والجزر ، عكست حالات التردد أحيانا ، والتردي أحيانا أخرى ، ثم الإقدام في النهاية على حسم المواقف . وكان انشاء مركز إدارة الشرق الأوسط أول خطوة عملية في سبيل إنهاء حالات الجزر الناجمة عن غياب التنسيق بين مراكز صناعة القرار في سياسة بريطانيا الخارجية تجاه منطقة الشرق الأوسط بصفة عامة وشبه الجزيرة العربية بصفة خاصة .

# الحواشـــي

* انظر الفصل الأول من هذه الدراسة .

1. Winstone, **Captain Shakespear, A Portrait** (London 1976) p. 216.

**The Sunday Times** وقد أكد ونستون على هذه الفكرة في جريدة اللندنية الآسيوية الصادرة في ١٠ مايو ١٩٨١ .

2. Hogarth, "Wahhabism and British Interests", **Journal of British Institute of Internationbal Affairs,** IV (1925) pp. 70-81.

٣ - حول موقف الهند من الثورة العربية ، انظر :

Busch, **Britain, India and the Arabs, 1914-1921,** (London 1971) pp. 164-71; Troeller, "Ibn Saud and Sharif Husain, a Comparison in their Importance in the early years of the First World War", Historical Journal, XIV (1971) pp. 627-33.

4. Kedourie, **In the Anglo-Arab Labyrinth, the McMahon-Husayn Correspondence and its Interpretations, 1914-1939** (Cambridge 1976) pp. 50-1.

5. Collins, **An Arabian Diary, Sir Gilbert Falkingham Clayton** (Berkeley 1969) p. 23.

٦ - انظر نص قرار جمعية «العربية الفتاة» الداعي إلى الخلاص من التبعية العثمانية ، في :

Antonius, **The Arabs Awaking, The Story of the Arab National Movement** (London 1938) p. 153.

ونلاحظ هنا أن شبه الجزيرة العربية شهدت خلال القرن التاسع عشر أولى المحاولات العربية للانفصال عن الدولة العثمانية على أيدي أصحاب الحركة الوهابية . ومع أن محمد علي والي مصر العثمانية دمر هذه الحركة في القرن التاسع عشر ، إلا أن الدعوة السلفية لم تنته على يديه . ومن جهة أخرى فإن محمد علي نفسه تمرد على السلطان العثماني بعد ذلك بقليل ، واستمر كذلك إلى أن قهرته بريطانيا .

7. Antonius, **op. cit.** pp. 157-8.

8. **Ibid.** pp. 164-5, 414-5.

9. **Ibid.** pp. 413-27.

10. Khadouri, "Aziz Ali Misri and the Arab Nationalist Movement", **St. Antony's Pap-**

**ers**, XVII (1965) pp. 140-63; Hourani, **The Emergence of the Modern Middle East.** (Oxford 1981) pp. 70-2.

١١ ـ حول النقد الموجه لدور لورانس وكتاباته ، انظر :

Tarver, "In Wisdom's House, T. E. Lawrence in the Near Est", **Journal of Contemporary History,** XIII (1978) pp. 585-606;

وانظر كذلك :

**The Sunday Times,** 10 May 1981.

١٣ ـ مقتبس في : Kedourie, **In the Anglo-Arab Labryrinth,** p. 136.

14. "Memorandum on British Commitments to Bin Saud", by: Political Intelligence Department, Foreign Office, 28 Jan. 1927, E 594/119/91, F. O. 371/12244; **British Documents on the Origins of the War (London 1938)** X, pp. 190-4.

15. "Memorandum 2", The Chief Political Officer in charge (Iraq Section, Arab Bureau) to the Director (Arab Bureau), Cairo, 12 Jan 1917 (Philby Papers) 15/4, St. Antony's College, Oxford.

16. Admirality, **Western Arabia and the Red Sea** (Oxford 1946) P. 295; Dawn "The Amir of Mecca al-Husayn Ibn Ali and The Origin of the Arab Revolt", **Proceedings of the American Philosophical Society,** CIV (1960) pp. 11-34; Barker, **King Husayn and the Kingdom of the Hejaz** (Cambridge 1979) pp. 97-120.

17. "Memorandum on British Commitments to Bin Saud", (F. O.). **loc. cit.**

18. **Ibid.**

19. Busch, **op. cit.**, P. 244.

20. "Memorandum 2", (Philby Papers) **loc. cit.**

٢١ ـ نقل ونستون اعجاب جرترود بل بعبد العزيز آل سعود في الكلمات التالية : «لقد قضينا يوما رائعا وغير عادي مع ابن سعود ، الذي يعتبر أحد الشخصيات القلائل التي تترك

انطباعات قوية . . » .

21. Winstone, **Gertrude Bell** (London 1978) p. 188.

22. "Memorandum 2 , (Philby Papers) **loc. cit.**; Wilson, **Loyalties, Mespotamia 1914-1917** (Oxford 1931) pp. 160, 205; Moroe, **Philby of Arabia,** (London 1973) p. 70.

23. Klieman, **Foundations of British Policy in the Arab World: The Cairo Conference of 1921** (London 1970) Chapter I, pp. 1-17; Antonius, **op. cit.** Chapter 8.

24. Klieman, **op. cit.** pp. 141-5; Monroe, **op. cit.**, pp. 78-81.

٢٥ ـ مقتبس في : Kedourie, **op. cit.** p. 120.

٢٦ ـ مقتبس في :

27. "Memorandum on British Commitments to Bin Saud", (F. O.) **loc. cit.**

28. Hourani, "The Decline of the West in the Middle East-2" **International Affairs,** XXIX (1953) pp. 156-83.

29. Aide Memoire for Stores regarding the Affairs of Ibn Saud (Philby Papers) 15/4.

30. Monroe, **op. cit.**, pp. 58-9.

٣١ ـ سجل فيلبي زيارته التي استغرقت عاما كاملا في ثلاثة مجلدات . المجلدان الأول والثاني بعنوان **The Heart of Arabia** (London 1922)
أما المجلد الثالث فعنوانه **Arabia of the Wahhabis** (London 1928)
أما مهمة فيلبي فقد ناقشها عدد من الباحثين في دراسات جيدة نذكر منها :

Busch, **op. cit.**, pp. 243-63;

Monroe, **op. cit.**, pp. 58-94;

Troeller, **op. cit.**, pp. 91-138;

Silverfarb, "The Philby Mission to Ibn Saud, 1917-18",

**Journal of Contemporary History,** XIV (1979) pp. 269-86.

32. Silverfarb. **loc. cit.**

33. **Ibid.;** Monroe, **op. cit.**, pp. 66-81.

34. Busch, **op. cit.** pp. 248-50; Monroe, pp. 83-6.

35. Ibn Saud to Philby, 16 Shawwal 1336 (Philby Papers) 15/2.

36. Busch, **op. cit.**, p. 253.

٣٧ - مقتبس في :

Monroe, **op. cit.**, P. 92.

٣٨ - الريحاني ، **تاريخ نجد الحديث وملحقاته** (بيروت ١٩٥٤) ، الجزء الثاني ، ص ٢٤٩ ، أحمد عبد الغفور عطار ، مرجع سابق ، ص ٤١٧ .

39. Toynbee, **Survey 1925,** p. 287.

40. Abdul-Bari, "The Early Wahhabis and Sharifs of Mekkah", **Journal of Pakestan Historical Society,** III (1955) pp. 91-104.

41. Troeller, **op. cit.**, chapter 4.

42. Philby, "The Triumph of the Wahhabis", **Journal of the Central Asian Society,** XIII (1926) pp. 293-319.

43. Busch, **op. cit.** p. 262.

44. Philby, "The triumph of the Wahhabis", **loc. cit.**

45. **Ibid.**

46. **Ibid.**

47. **Ibid.**

48. **Ibid.**

49. CAB 23, 12/622 (2), 18 Sept. 1919; Lawrence, **Letters to Lawrence** (London 1962) pp. 39-40; Williams, **Ibn Saud, the Puritan King of Arabia** (London 1933) pp. 120-2.

50. Troeller, **op. cit.** Chapter 4.

51. Bell of Lawrence, 10 July 1920, cited in: **Lettrers to Lawrence,** pp. 12-13.

٥٢ ـ مقتبس في :

Edmonds, "Gertrude Bell in the Near and Middle East", **Journal of the Royal Asian Society, VLI** (1969) pp. 229-44.

٥٣ ـ هناك دراسات عديدة حول الدبلوماسية البريطانية ـ الفرنسية في الشرق الأوسط . ونحن معنيون في هذا المقام بالوقوف على مردود مأساة فيصل في سوريا على العلاقات البريطانية بالحجاز . ومما لا شك فيه أن مسألة فيصل هذه خربت علاقات بريطانيا بالحجاز . حول موقف الحجاز من نظام الانتداب ، انظر :

Note from the Hejaz Delegation concerning Mandates in Arab Nations, Despatch of U.S. Embassy, Paris, 19 May (1920, cited in: Al-Rashid, **Documents on the History of Saudi Arabia,** I, pp. 50-53;

وانظر أيضا :

Memorandum to the Allied Powers on behalf of H. M. King Husain, 10 March 1921, pp. 67-70, cited in: **Ibid.**;

وانظر كذلك : جودت ذكريات علي جودت (بيروت ١٩٦٧) ص ٧٣-٦ .

54. Lady Bell, **The Letters, of Gertrude Bell** (London 1927) II, pp. 526-30.

55. Arsalanian, "British War-Time Pledges, 1917-18, the Arminian Case", **Journal of Contemporary History,** XIII (1978)pp. 317-30.

56. Busch, **op. cit.**, pp. 263-4.

٥٧ ـ انظر : جمال محمود حجر ، «نحو تنظيم الادارة البريطانية في الشرق الأوسط على ضوء مشروع جور لعام ١٩٢٠ ـ دراسة تحليلية» في الكتاب الذي تصدره جامعة القاهرة إحياء لذكرى الدكتور محمد أحمد أنيس .

## مصادر البحث ومراجعه

### أولاً : وثائق غير منشورة :


ـ أوراق مجلس الوزراء البريطاني — CAB 23, 12/62 (2) (P. R. O.)

ـ أوراق وزارة الخارجية البريطانية — F. O. 371/12244 (P. R. O.)

ـ أوراق فيلبي الخاصة — Philby Papers (St. Antony's College, Oxford)


### ثانيا : وثائق منشورة :


— Admiralty. Naval Intelligence Division. Georgraphical Handbook Series, **Western Arabia and the Red Sea** (Oxford 1946).

— Ibrahim al-Rashid (ed.), **Documents on the History of Saudi Arabia, I** (Salisbury 1976).


### ثالثا : كتابات المعاصرين وأوراقهم المنشورة :


ـ أمين الريحاني ، **تاريخ نجد الحديث وملحقاته** (بيروت ١٩٥٤) .

ـ على جودت ، **ذكريات علي جودت** ، ١٩٠٠ ـ ١٩٥٨ (بيروت ١٩٥٤) .

— Antonius, G., **The Arab Awking, The Story of the Arab National Movement** (London 1938).

— Bell, Lody,
**The Letters of Gertrude Bell 2 vols.** (London 1927).

— Collins, R.O. (Ed.)
**An Arabian Diary, Sir Gilbert Falkingham Clayton,** (Barkely 1969).

— Hogarth, D.G.
**"Wahhabism and British Interests", Journal of British Institute of International Affairs,** IV (1925).

— Lawrence, A.W. (ed.),
**Letters to Lawrence** (London 1962).

— Philby, St. J.B.,
**The Heart of Arabia** (London 1922).

— Philby, St. J.B.
"The Triumph of the Wahhabis", **Journals of the Central Asian Society, XIII** (1926).

— Wilson, Sir A.T.,
**Loyalties, Mesopotamia 1917-1920: A Clash of Loyalties. A Personal and Historical Record** (Oxford 1931).

رابعا : دراسات :

ـ أحمد عبد الغفور عطار ، صقر الجزيرة ، ٧ أجزاء (بيروت ١٩٧٢) .

— Abdul-Bari, M.,
"The Early wahhabis and the sharifs of Makkah", Journal of Pakestan Historical Society, III (1955).

— Arslamian, A.H.,
"British War-Time Pledges 1917-18, The Arminian Case", **Journal of Contemporary History,** XIII (1978).

— Barker, R.,
**King Husain and the Kingdom of the Hejaz** (Cambridge 1979).

— Busch, B.C.,
**Britain, India and the Arabs, 1914-1921,** (London 1917).

— Dawn, C.E.,
"The Amir of Mecca al-Husayn Ibn Ali and the Origin of the Arab Revolt", **Proceedings of the American of the American Philosophical Society, CIV** (1960).

— Hourani, A.,
"The Decline of the West in the Middle East - 2", **International Affairs,** XXIX (1953).

— Hourani, A.,
**The Emergence of the Modern Middle East** (Oxford 1981).

— Kedourie, E.,
**In the Anglo-Arab Labyrinth, the McMahon-Husayn Correspondence and its Interpratitions, 1914-1939** (Cambridge 1976).

— Khadduri, M.
"Aziz Ali Misri and the Arab Nationalist Movement", **St. Antony's Papers,** XVII (1965).

— Klieman, A.S.
**Foundations of British Policy in the Arab World: The Cairo Conference of 1921** (London 1970).

— Monroe, E.,
**Philby of Arabia** (London 1973).

— Silverfarb, D.,
"The Philby Mission to Ibn Saud, 1917-18", **Journal of Contemporary History, XIV** (1979).

— Tarver, L.J.,
"In Wisdom's House, T.B. Lawrence in the Near East", **Journal of Contemporary History, XIII** (1978).

— Toynbee, A.,
**Survey of International Affairs 1925** (London 1927).

— Troeller, G.,
"Ibn Saud and Sharif Husain, a Comparison in their Importance in the erly years of the First World War", **Historical Journal,** XIV (1971).

— Williams, K.,
**Ibn Saud, the Puritan King of Arabia** (London 1933).

— Winstone, H.V.F.,
**Captain Shakespear, A Portrait** (London 1976).

— Winstone, H.V.F.,
**Gertrude Bell** (London 1978).

خامسا : صحف :

— The Sunday Times, 10 May 1981.